

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[7] وسابع كالحلّة لا تفكّر إلاّ بامتصاص رحيق الورد لتهيئة العسل. وهكذا روّاد طريق التفسير القرآني، عكس كلّ من منهم بما يملكه من مرآة خاصّة، مطهراً من مظاهر جمال القرآن وأسراره. واضح أن كلّ هذه التفاسير في الوقت الذي تعتبر فيه تفسيراً للقرآن، إلاّ أنها ليست تفسيراً للقرآن، لأنّ كلّ واحد منها يميّط اللثام عن بُعد من أبعاد القرآن لا عن كلّ الأبعاد، وحتى لو جمعناها لتجلّي من خلالها بعض أبعاد القرآن لا جميع أبعاده. ذلك لأنّ القرآن كلامٌ إلهي وفيض من علمه اللامتناهي، وكلامه مطهرٌ لعلمه، وعلمه مطهرٌ لذاته، وكلّها لا متناهية. من هنا، لا ينبغي أن نتوقع استطاعة البشر إدراك جميع أبعاد القرآن، فالكوز لا يسع البحر. طبعاً، ممّا لا شكّ فيه أنّنا نستطيع أن نعرف من هذا البحر الكبير ... الكبير جداً ... بقدر سعة آنية فكرنا، ومن هنا كان على العلماء فرض أن لا يتوانوا في كلّ عصر وزمان عن كشف مزيد من حقائق القرآن الكريم، وأن يبذلوا جهودهم المخلصة في هذا المجال ما استطاعوا، عليهم أن يستفيدوا ممّا خلّفه الأسلاف رضوان الله عليهم في هذا المجال، ولكن لا يجوز لهم أن يكتفوا به، فرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عن كتاب القرآن العزيز: "لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه". خطر التفسير بالرأي: أخطر طريقة في تفسير القرآن هي أن يأتي المفسّر إلى كتاب القرآن العزيز معلماً لا تلميذاً. أي يأتي إليه ليفرض أفكاره على القرآن، وليعرض رؤاه وتصورات المتولّدة من إفرازات البيئة والتخصّص العلمي، والاتّجاه المذهبي الخاص،